

هَذَا كِتَابٌ

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَا مُحِبِّ

تَأليف

أبو بكر جابر الجزائري



جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م



للنشر والتوزيع والطباعة

الإدارة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٣.٧٧

ص.ب. ٤١٤٦ جدة - الرمز البريدي ٢١٤٩١

برقيا - مشكاتنا - تليكس SHORCO, SJ ٦٠١٢.٠٩

المكتبة - شارع البغدادية - هاتف ٦٤٤٣٥١٨ - ٦٤٣٦٦١٠

المكتبة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٢٨.٠٠

هَذَا الْحَيْبُ

« محمد رسول الله ﷺ »

يَا مُحِبُّ

رسالة العلم والإيمان والحب الصادق

للحبيب محمد ﷺ

يقدمها للعالم الإسلامي والإنساني
معاً ، إذ لا غنى لكل منهما عنها لما
حوته من علم صحيح ومعرفة بسيرة
خاتم الأنبياء وافية شافية تهدي إلى
الحق وإلى طريق مستقيم يفضي
بسالكه إلى كمال وسعادة الدارين :

أبو بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

المدينة النبوية في ١٤/١/١٤٠٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . وصَلَاةُ اللَّهِ وسلامه ورحماته وبركاته على صفوة عباده . وخيرته من خلقه محمد عبده ورسوله ، وعلى أهل بيته الطاهرين ، وصحابته أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فهذه رسالة في سيرة الحبيب محمد ﷺ رغب في جمعها وتأليفها بعض إخوة الإسلام لتكون تكملة « لمنهاج المسلم » الذى اشتمل على أصول الدين وفروعه إلا ما كان من السيرة العطرة للحبيب محمد ﷺ وتحقيقا لرغبتهم وضعت هذا الكتاب معنوتًا بهذا العنوان :

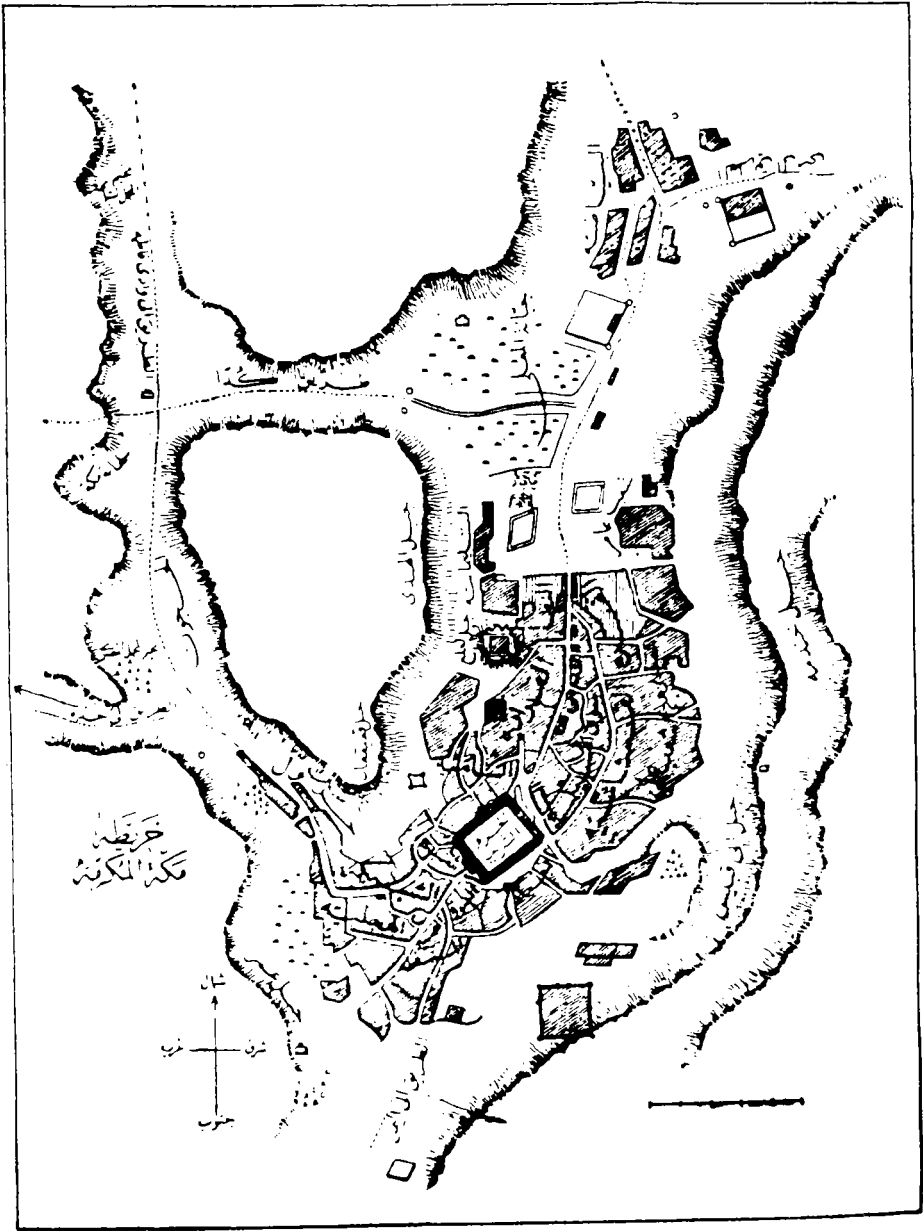
هذا الحبيبُ محمد ﷺ يا محبُّ

فكان حقا — الكتاب — رسالة العلم والإيمان والحب الصادق للحبيب محمد ﷺ .

ونظرًا لكثرة ما جُمع وألف في هذا الفن — السيرة — فإنني تجنبتا للتكرار والإطالة والاختصار سلكت بتوفيق الله مسلكًا في جمعه وتأليفه ما جعله بفضل الله تعالى أمثل ما كتب في هذا الفن سهولةً ووضوحًا وشمولًا مع حسن التبويب ، وجمال التفصيل ، وزانه ما امتاز به من ترصيع كل مقطوعة منه

بذكر نتائجها وعبر قد لا تخلو منها في غالبيتها . فكان بحمد الله تعالى كتاب البيت المسلم الذي يُشيع بين أفرادهِ حب الحبيب المصطفى ، وينيرُ بيانَ حُسنِ الأسوةِ مَعَالِمِ الهدى ، في دروب الحياة كلها الدنيّة منها كاجتماعيّة والسياسية . ولهذا فإني أدعو أهل كل بيت مسلم أن يجتمعوا على قراءته فيقتطعوا نصف ساعة من يومهم أو ليلتهم يقرأون فيها صفحة أو صفحتين حسب طول المقطوعة من الكتاب وقصرها ، ويقفون على ما فيها من النتائج والعبر يقوون بذلك إيمانهم . وينمّون معارفهم ويهذبون أخلاقهم . وأعظم من ذلك اكتسابهم حبّ نبيّهم وحبّ أهل بيته الطاهرين . وصحابه الغرّ الميامين . وأخيراً فاللهم اجعل عملي في هذا الكتاب صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ، وارزقني به ، ومن يقرأه مؤمناً محتسباً حبّ نبيّك وشفاعته في النجاة من النار ، واللحاق بمنازل الأبرار مع الرفيق الأعلى ياذا الجلال والإكرام .

سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين



هذه مكة

هذا البلد الأمين

هذا الوادي الذي قال إبراهيم فيه : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ
مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ .

أرض النبوة

بجبال فاران ، بالوادي الأمين ، بالأرض المباركة حيث بُني فيها أول بيت للناس ، كلُّ الناس بمكة المكرمة دائرة المجد ، ومهبط الوحي .

بالبلد الأمين حيث كان مولد سيد جميع العالمين .

بديار الحجاز معقل الإيمان^(١) في آخر الزمان .

بها — مكة — طابت مغانيها ، وجلَّت عن الحصر معانيها ، بعث نبيُّ آخر الزمان ، الذي سنحدث عنه — إن شاء الله — الأجباء بياناً أيما بيان .

ولنحبس الآن القلم ساعة ، لنعود إلى الحديث عن أرض النبوة بعد ساعة .

الدوحة الكريمة

من ديار الكفر والطغيان ، من أرض الشرك والظلم للإنسان خرج مهاجراً إبراهيم مع ابن أخيه هاران لوط عليه وعلى إبراهيم وآله السلام .

واتخذ إبراهيم الأرض المباركة مهاجراً أرض الشام التي باركها الله للأنام ، وحل إبراهيم يوماً بديار مصر وهو يحمل رسالة التوحيد فكان أن أكرم الله سارة^(٢) زوج إبراهيم بعتية هي نعم الهدية إنها هاجر المصرية أم إسماعيل وجدة العدنانيين أجمعين .

وهبت سارة الكريمة جارتها إبراهيم فتسرّاهَا فأنجبت إسماعيل . ويسوق

(١) ثبت هذا المعنى بالحديث .

(٢) تقرأ هذه القصة في صحيح البخارى . « كتاب الأنبياء » .

الله أقدارًا إلى أقدارٍ . فتضيق بسارة الدار حيث آلمها أن تلد جاريتها غلاما
زكيًا ، وتحرمه هي !!

وبإذن من الله يخرج إبراهيم بجاريته أمّ ولده مستخفيا مستحيا فتعفى هاجر
آثار أقدامها مبالغة في إخفاء أمرها .

ولنخرج القلم الآن من الحبس : لتتابع الحديث عن أرض الأنس والقدس .
إنه بالواد الأمين ، المحاط بجبال فاران من أرض طيبة مباركة ، وتحت دوحة
عظيمة ، وضع إبراهيم هاجر وطفلها تاركا لهما جرابا فيه طعام ، وسقاءً فيه
ماء وقفل راجعا . ونظرت إليه هاجر والدهشة تأخذها ، والحيرة تنتابها ، ثم
تقول : إلى من تكلنا يا إبراهيم ؟ وأردفت تساؤلها قائلة : آله أمرك بهذا يا
إبراهيم ؟ فأجابها السيد الرحيم قائلا : نعم . فردت عليه وهي قريرة العين إذا
فاذهب فإن الله لا يضيعنا . وذهب إبراهيم عائداً إلى أرض الشام .

ولما بعد حيث لا تراه هاجر استقبل مكان البيت قبل بنائه وقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي
أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .
وقفه قصيرة :

فهيا بنا معشر الأحياء نجلس مع هاجر نؤانسها في وحشتها ، ونستجلى
العبرة من موقفها :

هاجر امرأة مؤمنة كسائر المؤمنات تهاجر من بلدها ، وتخرج من دارها حتى
لا تؤذى ولية نعمتها ، تلك المؤمنة الأولى سارة بنت هاران عم إبراهيم الزوج
الكريم . علمت هاجر ما أصاب سارة من العيرة فأثرت غربتها عن أذية سيدتها .
فيآله من موقف تقفه هذه المصرية الزكية فهلا تأسى بها الضرات^(١) !!

(١) تأسى : أى اقتدى والضرات جمع ضرة : المرأة تكون مع أخرى تحت رجل واحد والضرة مشتقة =

وهلّا عرف هذا أجبأونا أحبهم الله فيؤثر أحدهم بالنفع أخاه ويتحمل الأذى
في سبيل رضاه !

هذه عبرة ، وأخرى : تُترك هاجر بوادٍ قفر موحش لا أنيس به من قريب
ولا من بعيد ، وتظهر مخاوفها ولا تكتم ما انتابها من غم وهمّ . فتقول
لإبراهيم : إلى من تكلمنا ؟ وما إن تسمع جواب إبراهيم : نعم الله أمرني بهذا
حتى تتجلى حقيقة إيمانها في مستوى لن يرقى إليه غيرها من نساء العالمين ،
إذ تقول : اذهب فإنه لا يضيّعنا .

هذا هو الإيمان الذي نطلبه أيها الأحياء . وهذا هو التوكل الثمرة الشهية
لعقيدة الإيمان الحية .

إن إيمانًا لا يثمر توكلًا كهذا إيمان ناقص قصير ، وقليل يسير .
فلننشد أيها الأحياء إيمانًا كاملاً يثمر لنا الخشية والمحبة معًا وتوكلًا كهذا !!!
ولتترك هاجر تبيت ليلتها بالواد الأمين لنعود إليها بعد حين نستقصي أخبارها
ونتعرف على أحوالها ؛ لأنها رحم لنا ، ومنبت عزٍّ ومجدٍ كآنا لنا ، إنها أمُّ
إسماعيل أحد آباء سيد المرسلين محمد الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى
التسليم .

تقول الأخبار الصادقة : إن هاجر قد نَفِدَ ماءُ سقائيتها وعطشت وعطش
إسماعيل طفلها ، فدارت تطلب الماء وحارت ، وكبدها كَادَ يرفض^(١) وهي
ترى طفلها يتلوى من شدة العطش . ونظرت فإذا أقرب مكانٍ عالٍ إليها هو
جبل الصفا فآتته ورقيته ونظرت يمينًا وشمالًا فلم تر ماءً ولا أحدًا ونظرت
أمامها فإذا أقرب مكانٍ عالٍ إليها جبل المروة فهبطت ذاهبةً إليه .

= من الضرر ، لأن كل واحدة منهما تتضرر بالأخرى .
(١) ارفض الكبد تفتت من العطش أو الجرن أو كاد .

فاتتهت إلى بطن الوادى فأسرعت وخبّت^(١) فيه حتى اجتازته ، وواصلت سعيها حتى انتهت إلى جبل المروة فرقيته ، ونظرت يميناً وشمالاً فلم تر شيئاً فهبطت عائدة إلى الصفا حتى اكتمل سعيها بين الصفا والمروة وهى تطلب الماء لولدها ولها سبع مرات .

وعندها وهى على أحد الجبلين تسمع صوتاً غريباً فتقول فى لهفة : أسمعَت أسمعَت فهل من غياث ؟!

وترمى ببصرها نحو ولدها فإذا برجل قائم على رأس الطفل تحت الدوحة^(٢) وما إن دنت منه حتى قال بعقبه هكذا يرفس الأرض ، وإذا بعين ماءٍ تفور وكَم كانت فرحة هاجر بسقيا إسماعيل ؟! وأخذت تزُمُّها بالتراب والحجارة تمنع سيلاتها على وجه الأرض خشية أن تنضب ، ولو تركتها فلم تحطها بما أحاطتها به من تراب وحجارة لكانت عيناً معيناً كما أخبر بذلك حفيدها السيد الجليل محمد إمام المرسلين وسيد جميع العالمين ، عليه أفضل الصلاة وأزكى وأبرك التحية والتسليم .

ثمره القصة :

إن لهذه القصة التى قصصناها ثمرة من أعلى الثار وأشهاها إلى النفوس المؤمنة الطاهرة الزكية إنها ثمرة التوكل على الله بتفويض الأمر إليه ، والاعتماد عليه . أتذكر أيها المحب لما قالت هاجر لإبراهيم : إلى من تتركنا الله أمرك بهذا ؟ فقال لها : نعم . فقالت إذاً فاذهب فإنه لا يضيعنا ! إنها توكلت على الله ربنا وربها وأحسن الظن به تعالى . فهذه العين الثرة (زمزم) كانت ثمرة توكلها على ربها وحسن ظنّها به عزّ وجل .

(١) وخبّت : أسرعت .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة ذات الظل الوارف .

بداية أمر مكة :

لما أكرم الله تعالى هاجر أم إسماعيل بماء زمزم مرت رفقة من قبيلة جرهم^(١) قريباً من وادي مكة فبعثوا من يرتاد لهم ماء ينزلون عليه فرأى رائداهم طائراً يحوم فعلم أن هناك ماءً فأتى المكان وإذا فيه هاجر وولدها إسماعيل وهما إلى جنب ماء زمزم فعاد الرائد فأخبر رفقته فأتوا الماء واستأذنوا هاجر في النزول معها فأذنت لهم ، واشترطت أن لا يكون لهم حق في الماء فقبلوا الشرط ونزلوا ، فكانت هذه بداية عمارة مكة في العهد الإبراهيمي السعيد .

عبرة :

أين الذين يتمشدقون بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية أين هم ؟ إنهم في الحضيض الأسفل إزاء هذه الواقعة التاريخية الثابتة بالوحي الإلهي : امرأة غريبة الدار تملك بئر ماء في صحراء تستأذنها في النزول إليها رفقة كاملة برجالها ونسائها تستأذنها في النزول إلى جوارها فتشترط عليهم في النزول بجوارها وهي تحب الأنس : أن لا يكون لهم حق في الماء فيقبلون الشرط ويرضونه وينزلون !!

هذه خلة فاضلة كريمة من خلال العرب في الجاهلية فكيف بهم في الإسلام لولا الصرفة التي صُرفوها بِمَكْرِ الثالوث الأسود : الجوس واليهود والنصارى .

عمارة مكة

وعمرت مكة بهاجر أم إسماعيل أولاً ثم بنزول الرفقة الجرهمية^(١) ثانياً . وكبر إسماعيل ، وأصبح أهلاً لأن يسعى ويعمل ولو برعى الماشية وصيد الطباء والطيور . وجاء إبراهيم يتعهد تركته إسماعيل ابنه وهاجر أم ولده عليهم

(١) جرهم قبيلة يمانية قحطانية وقحطان من ذرية سام بن نوح عليه السلام .

جميعا السلام ، وأوحى إليه الرب تعالى منامًا — ورؤيا الأنبياء وحى — أن اذبح إسماعيل قربانا لنا . واستشار إبراهيم إسماعيل في ذلك قائلا : ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ فأجاب إسماعيل قائلا : ﴿ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

وأراد إبراهيم تنفيذ أمر ربه فخرج بإسماعيل ولده إلى منى ليذبحه قربانا لربه حيث أمره ، ولما تله للجبين والمدية بيده وقبل الإجهاز عليه ناداه ربه : ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ ، وفداه بذبح عظيم أى بكبش أملح كبير ، فترك الولد وذبح الكبش ، وفاز بالرضا الولد والوالد .

عبرة :

إن في صبر هاجر على ذبح ولدها وصبر إسماعيل على ذبح نفسه لآية دالة على طيب الأم وولدها فلذا اختيرا لأن يكونا جدين لسيد المرسلين الحبيب محمد ﷺ . إن طيبوبة الأصول تنتقل إلى الفروع ، وقد تزهر الفروع على أصولها .

وجاء الخليل مرة أخرى يتعهد تركته^(١) ، وكان إسماعيل عليه السلام قد كبر وبلغ وتزوج امرأة جرهية من الرفقة التي جاورتهم بمكة ، ومن لحق بهم من قومهم . فدخل إبراهيم وسلّم على امرأة ابنه ، وكانت هاجر قد توفيت فقال أين إسماعيل ؟ قالت : ذهب يصيد ، وسألها عن حالها مع زوجها فلم تذكر خيرا ، فقال لها إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له يغير عتبة بابه . وجاء إسماعيل من الصيد وأخبرته بالخبر فقال : ذاك أبى وقد أمرنى بطلاقك ، فالتحقى بأهلك .

ومضى زمن يطول أو يقصر وَبَدَأَ^(٢) لإبراهيم أن يتعهد تركته فجاء مكة

(١) التركة : ما تركه الإنسان وخلفه وراءه ، ومن هذا تركه الميت .

(٢) بدأ أى ظهر له .

ودخل حجر إسماعيل فسلم وقال : أين إسماعيل ؟ وسألها عن حالهم فذكرت خيراً ، فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له : ثبتت عتبة^(١) بابك .

وعاد إبراهيم إلى الشام ، ومضت الأيام وقد تطول أو تقصر وبدا لإبراهيم أن يطلع على تركته فجاء مكة فوافق إسماعيل من وراء زمزم يُصلح نبلاً له تحت دوحة عظيمة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد . فقال إبراهيم : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمرٍ قال إسماعيل فاصنع ما أمرك ربك ، قال إبراهيم وتُعيني ؟ قال : وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها .

نتائج وعبر :

من نتائج هذه المقطوعة من السيرة وعبرها ما يلي :

(١) تعهد الوالد أهل ولده بزيارتهم والتعرف على أحوالهم من الوقت إلى الوقت .

(٢) قوة الفراسة والعمل بها ، فإن إبراهيم عليه السلام تفرس في امرأة ابنه أنها غير صالحة له ، لما سمعه منها من شكاة ، وإن إسماعيل عمل برأى والده وطلق امرأته .

(٣) مشروعية استعمال الكنايات في المخاطبات فقد كتى إبراهيم عن المرأة بعتبة الدار .

(٤) مشروعية معانقة الولد للوالد وعكسها ، ويقاس عليهما غيرهما .

(٥) مشروعية استشارة الوالد ولدّه وطلب العون منه على أمره .

(١) كناية عن امرأته .

(٦) قَدِمَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ، وَإِنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق

ولما وافق إسماعيل على إعانة والده على بناء البيت شرع إبراهيم في البناء ، وقد هداه ربه تعالى إلى مكانه الذي كان به رفعه^(١) عام الطوفان ، أو هدمه بفعل السيول الجارفة ، وعدم وجود من يقوم ببناؤه ، فأخذ إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ما أخبر تعالى به عنهما في قوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

ولما ارتفع البناء جاء إسماعيل بحجر كبير مرتفع فصار إبراهيم يعلو فوقه ويواصل رفع البناء حتى فرغ ، وبقي الحجر تحت جدار البيت وقد ارتسمت عليه قَدَمًا إبراهيم وهو صُلْبٌ ليس برطب لتكون آية للعالمين .

ولما جاء الإسلام — ومرحبًا به — شرع الله تعالى الصلاة خلفه ؛ إذ قال تعالى من سورة البقرة : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .

ولما فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله تبارك وتعالى أن يُؤذِّنَ في الناس بالحج . كما قال : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُورُكُ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ .

(١) ذكر أهل العلم قولين في البيت منهم من قال : إن الله تعالى رفعه قبل الطوفان ومنهم من قال : لم يرفعه وإنما انهدم بمفعول الطوفان كغيره من سائر المباني والله أعلم بأى القولين أصح .

فطلع إبراهيم عليه السلام على جبل أبي قُبَيْس وهو من أقرب الجبال إليه ،
ونادى باسم الله تعالى قائلاً : أيها الناسُ إن ربكم بنى لكم بيتاً فَحُجُّوهُ ،
والتفت بندائه يميناً وشمالاً كما يَلْتَفِت المُوذِن اليوم في أذانه للصلاة ، فَاسْمَعَ
الله تعالى نداءه كل نسمة خلقها الله تعالى فمن لبث حجت ، ومن لم تُلب
لم تحج أبداً . ومعنى لَبْتُ : قالت : لَبَّيْكَ اللهم لييك أى أجبت طلبك مرّة
بعد مرّة .

نتائج هذه المقطوعة من الحديث :

لهذه المقطوعة من سيرة الحبيب العطرة نتائج نجمها فيما يلي :

- (١) تقرير بناء إبراهيم للبيت العتيق شرفه الله وكرمه .
- (٢) بيان تعاون إبراهيم مع ولده إسماعيل على بناء البيت .
- (٣) بناء البيت كان على أسس وقواعد قديمة كان عليها قبل حادثة الطوفان
وفي هذا ترجيح للقول بأن البيت كان من عهد آدم عليه السلام .
- (٤) ارتسام قَدَمَي إبراهيم على صخرة المقام آية خالدة من آيات الله تعالى
التي كان يعطيها الأنبياء عليهم السلام .
- (٥) تقرير القول بأن الأرواح مخلوقة قبل خلق أجسامها ، وأن الملك الموكل
بالأرحام ينفخها في المضغة بإذن الله تعالى فتسرى فيها فتحيا .

بداية أمر الحبيب

محمد ﷺ

إنه أثناء قيام إبراهيم وولده إسماعيل ببناء البيت العتيق كانا عليهما السلام
يتقاولان ما أخبر به تعالى عنهما في قوله : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴾ إذ الضمير في قوله ﴿ فِيهِمْ ﴾ عائد على ذرية إسماعيل وإبراهيم
عليهما السلام . فكان هذا مبدأ أمر الحبيب محمد ﷺ .

وقد قرر هذه الحقيقة بنفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إذ سئل عن مبدأ أمره فقال : « أنا دعوة أبى إبراهيم ^(١) وبشارة أخى عيسى عليهما السلام » .

إسماعيل وذريته

لقد عاش إسماعيل بجوار البيت العتيق وفي مكة أصهاره من قبيلة جرهم اليمانية القحطانية ، وقد نبىء فيهم ، وأرسل إليهم وإلى كافة من بالحجاز من العماليق . وأنجب إسماعيل أولادًا بلغوا اثني عشر ولدًا منهم نابت وهو أكبرهم وهو حلقة السلسلة الذهبية المحمدية ، فنابت من أولاد إسماعيل الاثني عشر هو الذى اختير لأن يكون من آباء دعوة إبراهيم وإسماعيل ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ . واختفت حلقات السلسلة الذهبية فيما بين نابت وعدنان لظروف غامضة غير معروفة . وكان عدد الآباء ما بين نابت بن إسماعيل وعدنان يقدر بستة آباء ، والجميع عاشوا بالحرم المكي ولم يخرجوا منه . ومع هذا لم تضبط أسماء هؤلاء الآباء الستة وصاحب النسب الزكى الشريف حبيب الأحياء وسيد الأنبياء محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهى بذكر نسبه جازمًا بما ذكر إلى عدنان ، ثم سكت وقال : كذب ^(٢) النسابون . قال تعالى : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ فلهذا كان الانتهاء إلى حيث انتهى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنسبه أولى .

نتائج هذه المقطوعة :

لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج هي كالاتى :

- (١) النسب الشريف بين إسماعيل وعدنان مجهول ولا يصح الجزم بما ذكر النسابون حيث بلغوا بالنسب الشريف إلى آدم عليه السلام .
- (٢) صحة النسب الزكى من عدنان إلى عبد الله بن عبد المطلب والد النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصحة لا يخالفها شك قط .

(١) صح هذا الخبر بروايات سليمة صحيحة .

(٢) علم عليه السيوطى فى جامعه بالصحة .

(٣) توهين أقوال النسابين وعدم الجزم بما يقولون .

سلسلة الطهر

النسب الشريف

بين يدى الحديث عن سلسلة الطهر الذهبية أقدم كلمة عن العرب موجزة لما لهم من شرف الأصل ، وطيب المختد فأقول : إن العرب بأقسامهم الثلاثة : العرب البائدة ، والعاربة ، والمستعربة يعودون إلى أصل واحد هو سام بن نوح عليه السلام . أمّا الذى ينسب إليه العرب ويعرفون به فهو يعرب بن يشجب ابن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح الرسول عليه السلام .

العرب البائدة :

إن العرب الذين بادوا أى هلكوا هم طسّم وجليس^(١) ، وعاد وثمود هكذا يقول النسابون والمؤرخون . فأما طسّم وجديس فقد اقتتلوا أى قاتل بعضهم بعضا حتى هلكوا جميعا ، وأما عاد وثمود فقد أصروا على الشرك والتكذيب لرسولهم هود وصالح عليهما السلام حتى أهلكهم الله تعالى ، وقد جاءت أخبارهم فى القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ^(٢) * وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٣﴾ .

العرب العاربة :

إن العرب العاربة هم الأصلاء فى نسبهم إلى يعرب بن يشجب بن قحطان ، ولذا يقال لهم القحطانيون وبنو عمهم هم العمالقة^(٣) الذين يسكنون الحجاز

(١) ثمود أخو جديس .

(٢) الطاغية هى الصيحة التى أخذتهم وقيل فيها طاغية لأنها تجاوزت الحد فى صوتها .

(٣) العمالقة هم أولاد عملاق ، وبنو أميم هم أولاد أميم ، وعملاق وأميم هما أولاد لاوذ بن سام بن نوح .

والشام ودخلوا مصر وتفرقوا في البلاد المجاورة للجزيرة العربية ، وبنو أميم أيضاً وقد لازموا الجزيرة ولم يخرجوا منها . أما القحطانيون وهم أولاد يعرب بن يشجب بن قحطان فقد لازموا الديار اليمنية زمناً ، ثم تفرقت قبائلهم^(١) في الجزيرة والشام^(٢) ومن قبائلهم الذين^(٣) سكنوا الحجاز قبيلة جرهم التي سكنت مكة بإذن هاجر أم إسماعيل عليه السلام .

العرب المستعربة :

إن العرب المستعربة هم أولاد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل لهم العرب المستعربة ، لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن من أولاد يعرب وإنما كان من أولاد عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح ، ولذا كانت لغته غير العربية وهي السريانية لغة الكلدانيين من سكان بابل العراق كما تكلم بلغة الكنعانيين بالشام أيضاً عند هجرته إلى الشام ، ولم يتكلم بالعربية .

وأما إسماعيل عليه السلام فإنه بحكم نشأته بين أفراد قبيلة جرهم اليمنية القحطانية التي سكنت مكة بإذن والدته هاجر كما تقدم تعلم العربية ونفس أهلها فيها أى تفوق عليهم فيها بياناً وأدباً وبلاغة ، كما تعلمها أولاده منه ومن أمهم السيدة بنت مضاى الجرهمية ومن أخوالهم المجاورين لهم بمكة أيضاً ؛ فلهذا قيل لهم العرب المستعربة نظراً إلى أن جدهم غير عربى وهو إبراهيم ، وإن ولده إسماعيل استعرب هو وبنوه حيث تعلموا لغة العرب وتكلموا بها وفازوا فيها ، ومن هنا قيل فى القبائل العدنانية^(٤) عامة العرب المستعربة .

(١) من أشهر قبائلهم حمير وكهلان .

(٢) ممن سكن الشام لحم وجدام وأولاد جمنة ملوك الشام .

(٣) وكذا طيء إذ سكنوا شمال الحجاز ، وسكن الأوس والخزرج المدينة النبوية حيث نزلها جدهم ثعلبة بن عمرو الأزدي مهاجراً من اليمن بعد خراب سد مأرب بمفعول سيل العرم الذى ذكره الله تعالى فى سورة سبأ .

(٤) نسبة إلى عدنان أحد أبناء ذرية إسماعيل عليه السلام .

عودة سريعة إلى النسب الشريف

سبق أن ذكرنا أن النسب الشريف ما بين إسماعيل وعدنان فيه غموض وخفاء حتى إن صاحب النسب الشريف عليه السلام قال : لا ترفعوني فوق عدنان . ولذا فكل ما يحسن أن يقال هو أن أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهم اثنا عشر ولدًا عاشوا مع أخوالهم من جرهم ، ونبئهم ورسول الله إليهم أجمعين هو إسماعيل عليه السلام . وكان من بين أولئك الإخوة نابت وقيدار ، والإجماع على أن عدنان هو ابن أحدهما لا محالة ثم إن عدنان أنجب من البنين عَكًّا وَمَعْدًا ، أما عك فقد نزع إلى اليمن وعاش بها مع أصهاره الأشعريين . وأما معدُّ فقد بقي بِمَكَّة وأنجب من البنين نزارًا ، وقضاعة ، وقُنُصًا ، وإيادًا ، أمَّا قُنُصٌ فقد هلك بنوه إلا قليلا منهم وكان منهم النعمان ابن المنذر . وأما إياد فقد أنجب قبيلة والنسبة إليها إيادى ومنهم قس بن ساعدة الإيادى . وأما قضاعة فقد نزحت إلى حمير باليمن وأقامت بها . وأما نزار فقد عاش بالحرم كأخيه إياد وأنجب مضرًا وربيعة وأنمارًا . وأنجب مضر إلياس وعيلان ، وأنجب إلياس مدركة^(١) وطابخة وقمعة ، وأنجب مدركة خزيمية ، وهذيلًا ، وأنجب خزيمية كنانة وأسداً ، وأسدة والهون . وأنجب كنانة ملكان والنضر ومالكًا وعبد مناة . وأنجب النضر وهو أبو قيس حيث كافة قبائلها تعود إليه أنجب مالكًا ومخلدًا وأنجب مالك بن النضر فَهْرًا^(٢) . وأنجب فهر غالبًا ومحاربًا والحارث وأسداً . وأنجب غالب بن فهر لؤيًّا وتيمًا وقيسًا ، وأنجب لؤى بن غالب كعبًا وعامرًا وسامةً وعوفًا . وأنجب كعب بن لؤى مرةً وعديًا

(١) اسم مدركة عامر واسم طابخة عمرو واسم قمعة عمير والأسماء المذكورة ألقاب لهم لقبوا بها لحادثة معروفة .

(٢) اسمه قريش أو لقب له وهو أب قريش الأول .